المحاضرة 7

ديوان محمد العيد آل خليفة

التعريف بالشاعر:

من أبرز رجالات جمعية العلماء المسلمين، ولد الشاعر محمد العيد آل خليفة سنة 1904 بعين البيضاء ولاية أم البواقي في أسرة محافظة تنحدر من ولاية وادي سوف، انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة لحفظ القرآن الكريم، انتسب محمد العيد إلى جامع الزيتونة، انتدبته جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة ثم مديرا لها إلى غاية 1941م. تنقل بين بسكرة وباتنة وعين مليلة للتدريس في الأربعينات

ومع اندلاع ثورة التحرير المباركة في نوفمبر 1954، ألقى المستعمر القبض عليه وزج به في السجن عدة مرات، لتحدد في الأخير إقامته الجبرية ببسكرة، إلى غاية استقلال الجزائر عام 1962.

أما بعد الاستقلال فقد لازم بيته متعبدا ذاكرا زاهدا في الدنيا قليل المشاركة في النشاطات حتى وافته المنية1979.

نشر أشعاره في جرائد عدة منها:"الشريعة"، "السنة"،"الصراط"، "البصائر"،"المرصاد" "الثبات" صدى الصحراء المنتقد" و"الشهاب"...

موضوعات شعره:

من المواضيع التي كتب فيها الشاعر نجد:

الثورة: سخر الشاعر قلمه لخدمة القضية الوطنية مبكرا، فكان يستحثّ الهمم، ويحرك الضمائر بحثا عن خيط أمل تتعلق به الأمة لتتخلّص من المستعمر وظلمه؛ فيوجّه سهام شعره إلى المستعمر تارة، ويستصرخ النائمين تارة أخرى.

يقول في قصيدة "يا ليل":

يا ليـــل كم فيك عاد داس الحمى واستبــاحا

إلى مــتى أنـت داج تغـشى الربى والبــطاحا

نفسي إلى الفجـر تاقت متى أرى الفجــر لاحا؟

متى جنــاحك يطوى يا ليل طلت جنــاحا

وكتب عن ثورة نوفمبر يقول:

فاسأل نوفمبر عن بنيها إنه أدرى بثورتهم على الأروام

قد دكّ فاتحُه المعاقل فاتحا فغدا بذلك غرّة الأيام

واذكـر بـ(باتِنَةَ) الفدى المأثور عن ثوار (أوراس) رفيع الهام

فهــم الليوث تلقنوا درس الفدى عن (مصطفى بوالعيد) في الآجـــام

هم نكّلوا بعدوهم وتكتلوا في البأس ضرغاما إلى ضرغام

ويقف وقفة إجلال واحترام للشهداء فيقول:

رحم الله معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجزاء

وسقى بالنعيم منهم ترابا مستطابا معطر الأرجاء

هذه في الثرى قبور حوتهم أم قصور تسمو على الجوزاء؟

لا تخَل معشرا قضـوا في سبيل الله موتى، بل هم من الأحيـــاء

إنهم عند ربهم حول رزق منه في نعمة وفي سرّاء

الإسلام: أخذ محمد العيد على عاتقه مهمة الدفاع عن العقيدة ومبادئ الإسلام داعيا الشباب للتمسك بالدين باعتباره الطريق الوحيد للنجاة والنجاح يقول:

نتمنى لك الثبات على الرّ شد وما أنت عندنا مستراب

نتمنى بالدين أن تتحلـّ من تحلـّ بدينه لايعابُ

إنماّ الدين لليوث عرينّ لا تغرنك بالعواء الذئـابُ

إنماّ الدين في المبادئ رأس المجد منها وغيره أذنابُ

من هذه الأبيات يظهر لنا ان الشاعر متشبع بالروح الدينية والتقى والورع يحب الخير للجميع وينصح الشباب للتمسك بالدين ، والحفاظ على العقيدة لأنها حبل إعتصامه وقوة وحدته وعزّته.

العروبة: شاعرنا يهتم باللغة لأنها تمثل بالنسبة اليه أحد المقومات الهامة التي من شأنها الربط بين أبناء العروبة فقد نوه لها انطلاقاً من أصالتها وكونها وعاء حوى ماضي الأمة التي تشترك في المصير

وعلى هذا الأساس نظم قصيدة العروبة أمناّ الكبرى حيث يقول فيها:

الملة السمحاء آصرة لنـا فوق الأوامر و العروبة مولد

هيهات تقدر أن تفرقنا يد والله يجمع شملنا ومحمّد

إنّ العروبة أمناّ الكبرى التي في الأمهات نظيرها لا يوجد

وكان له حضوره القوي في الردّ على عتاة المستعمرين، ومثال ذلك تلك القصيدة العصماء التي ردّ بها على "آشيل" الذي ادعى في مقال أن «القرآن كتاب مثير للحروب وعنوان على الهمجية والكراهية»، فقال محمد العيد:

هيهــات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبـــــدّل تـوراة وإنجيل

قل للذين رمــوا هذا الكتاب بما لم يتفـق معه شرح وتأويل

هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبـه الناس التماثيل

التعليم: لأن الشاعر كان معلما فقد سخّر كل جهوده لتعليم الناشئة وغرس بذرة العلم والحرف العربي للدفاع عن وطنه ودينه، يقول:

سألزم بيتي قانعا بمعيشتي رفيقا لكتْبي قابسا بعض نورها

وأخرج من بيتي لتعليـم فتية بمدرسة آوتهمُ في حجورها

فإن أثمـر التعليم فيهم ثماره فذاك منى نفسي وأقصى سـرورها

وإن تكن الأخرى، فحسبي غنيمةً براءة نفسي، واحتساب أجـورها

إن موقف الشاعر محمد العيد آل خليفة واضح في هذه الأبيات التي تبدو عهدا قطعه على نفسه، لتحمل المسؤولية.

-**الرثاء** :رثا "محمد العيد" شاعر النيل حافظ ابرهيم في قصيدة بعنوان"رثاء شاعر النيل. "

قمْ عزّ مصر وعزّ الشرق أقطاراً فحلُ مصر خبا كالنجم وانهاراَ

ياموتُ عدتَ بنفس خصبة نبتت فيها المبرّات مثل الرّوض أنهاراَ

وغلت ليثاً بجنب النيل كان لـه زأرّ به أوسع "التاميز" إنذارا

ياشاعراً حنّ بالفصحى ورنّ مدى كالطير زقزقة و العود أوتارا

أقام مأتمه الدنيا وأقعدها ودام فيها عشياتٍ و أبكارا

وفي الجزائر من وجد بمأتمـه هولٌ عليها طغى كالموج تيارا

وابن الجزائر بابن الشرق مرتبط وإن أحاطت به الأشواك أسواراَ

يارحمة الله هبّي نفحةً وهمي غيثا على حافظ في القبر مدرازاَ

في ذمة الله لا أنساه ثانيـة حسبي بحبّي له عهداً وتذكارا

الاخوانيات : كتب الشاعر في الاخوانيات ومنها ما كتبه للأستاذ أحمد سحنون حينما زاره في بيته يقول:

سيديّ إنـنيّ إليك مشـوقٌ وعوادي الزمان عنك تعوق

إنـنيّ مذ فقدت وجهك لم أضفر بوجهٍ من الأنام يـروقُ

سيديّ كيف حالُ قلبك بعدي في زمان قد عزّ فيه الصديقُ

هل كما كان للحياة طروباً هلْ له بعدُ بالقريض خفوقُ

كما أهدى الشاعر قطعة الشعرية إلى صديقيه الأستاذ الطيب العقبي والسيد عباس تركي ، بعد أن أطلق سراحهما من السجن ، يقول فيها:

خذا لكما عنيّ من الشعر باقة كذكركما كما الزّاكي تضوع وتعبق
مضت لكما في الدهر أيام محنة وساعات عُسر بالأماثل تلحق
بها يمحّص الله المحقّين في الورى ويسحق دعوى المبطلين ويمحق

ومن أهم خصائص شعره:

– يعد "من أحد شعراء المدرسة الإحيائية التي تقوم على إحياء التراث وبعثه والاستفادة منه؛ فقد حافظ على نمط القصيدة العمودية والالتزام بالوزن والقافية.

–غلبت على شعره الذات القومية الجماعية تعبيرا عن وجدان الأمة، فقد اعتبر ذلك جزءاً أساسياً من عمله الوطني والقومي كما يقول.
– اقتبس كثيراً من القرآن ومن الحديث النبوي الشريف ، استقى صوره من الطبيعة غالباً

–كما يعتبر التكرار من الميزات البارزة في شعر محمد العيد حيث نجده كثيراً ما يكررّ المعنى الواحد في القصيد الواحدة أو في قصائد أخرى أو تكرار الكلمة بعينها أو أشطارها ، بذاتها عدةّ مرات ، ويقصد من وراء هذا التكرار توكيد المعاني وإعطائها صفة الحمية والوجوب وقد يقصد بها إثارة الحماس في نفوس سامعيه حتى يستحوذ على مشاعرهم في قصيدته "الشعر والأدب"

المراجع:

–ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر،.
–محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته تأليف الأستاذ محمد ابن سمينة ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون–الجزائر1992.
– عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخاً وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجزائرية ،الجزائر.